الثلاثينات ، مع ان العكس هو الصحيح . فمستعمرات « السور والبرج » ، ظهرت ، اول مرة في فلسطين خلال سنوات ١٩٣٧ — ١٩٣٩ ، بعد ان ترددت المشاريع حول تقسيم فلسطين الى دولتين ، عربية ويهودية . اما القصد من تلك المستعمرات فكان أساسا اقامتها في مناطق عربية صرفة لم تطأها قدم الاستيطان الصهيوني بعد وذلك في محاولة لمنع تقسيم البلد ، او على الاقل ضم الاجزاء التي تحتوي على مستعمرات يهودية الى الدولة اليهودية . لكن الكتاب لا يرى اية علاقة بين هذه الفكرة وبين مستعمرات الناحال التي راحت اسرائيل تقيمها في مناطق الحدود والمناطق الخالية نسبيا من السكان اليهود بعد ١٩٤٩ او تلك التي تقيمها حاليا في بعض اجزاء المناطق العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ ، ومن ضمنها الاراضي المصرية المحتلة طبعا .

ويتحدث الكتاب ايضا عما يفهم وكأنه توزيع الادوار بين المنظمات الصهيونية المختلفة ، بحيث تقوم الهاجاناه بنوع معين من العمليات بينما يقوم اتسل (الارجون) وليحي (شتيرن) بنوع آخر من العمليات ، بطريقة توحي بأن هذه الامور مرتبة سلفا بين هذه المنظمات . ومثل هذا الرأي ، بالاضافة الى كونه تبسيطا مبالغا فيه ، يعتبر تجاهلا لحقيقة ذلك الصراع المستحكم بين الفئات الصهيونية اليمينية ، المتطرفة والمعتدلة ، من جهة وبين الجناح العمالي في الحركة الصهيونية من جهة اخرى منذ اكثر من اربعين سنة حول السلطة داخل المنظمة الصهيونية العالمية وفي اسرائيل ، وهو الخلاف الذي لا تزال كفة الجناح العمالي فيه هي الراجحة . اما ما يظهر من اختلاف في نوع النشاط الذي مارسه ويمارسه كل من الطرفين فيعود اساسا الى اختلاف في العقيدة والوسيلة على السواء ، ومن هنا الاختلاف بين الاثنين ، وليس الى اتفاق على توزيع الادوار . واستنادا الى الموقف ذاته ، ينسب الكتاب كثيرا من شرور الصهيونية الى جابوتنسكي ، والذي لا شك يتحمل مسؤولية كبيرة في تغذية الاتجاهات المعادية للعرب فكريا ، مع العلم ان مسؤولية الاجنحة الاخرى في الحركة الصهيونية لا تقل عن مسؤولية جابوتنسكي فكرا وعملا .

اما الجزء الثاني من الكتاب ، الذي يعالج اوضاع اسرائيل بعد قيامها ، فيحتوي على عرض موجز للغاية لنشاط اسرائيل ، مقرونا بعرض آخر طويل جدا عن كيفية بناء الجيش الاسرائيلي . ويبدو الجزء الثاني ، عامة ، وكأنه اعمق واكثر شمولا من الجزء الاول ، لكن هنا ايضا يقع الكتاب في اخطاء تقييم تمس صلب الموضوع الذي يعالجه.

ان الباحثين عند عرضهم اقامة الجيش الاسرائيلي، بعد الاعلان عن اقامة اسرائيل كدولة ، يتطرقون الى الاجراءات التي اتخذها بن جوريون لاقامة هذا الجيش عندما عمد الى حل منظمتي اتسل (الارجون) وليحي (شتيرن) ثم حل قيادة البالماح (ولسبب ما يشير الكتاب الى اسم قائد البالماح ، اسحاق ساديه ، على انه اسحاق صادح) ويكتفي الكتاب عند عرضه هذه الاجراءات بالاشارة الى ان هذا كان محاولة من بن جوريون لفرض سيطرته ، وهو ما لا يخلو من الصحة ، الا ان الكتاب لا يقيم هذه الخطوات حق قيمتها وبالتالي يقسو بحسب رأينا ، في خطأ اساسي من نظرته لمركز الجيش في اسرائيل . ان كل الدلائل تشير الى ان خطوة بن جوريون عندما حل الجيوش الخاصة ، وبطريقة لا تخلو من العنف ، كانت من اكثر خطواته نجاحا ، اذ اسفرت عن القضاء على الاتجاهات الانفصالية التي كانت مستحكمة بين المستوطنين اليهود ايام الانتداب ونجحت في اقامة جيش موحد . وقد كان لهذه الخطوة ، خصوصا بعد التقاليد التي ارسيت داخل الجيش فيما بعد ومن بينها تغيير كبار ضباطه من فترة لاخرى ونقلهم الى وظائف مدنية بعد بلوغهم سن معين ، اثرها الملحوظ لايقاف العسكر عند حدهم واحتوائهم داخل الاطار المخصص لهم من جهة ودفعهم الى المزيد من الاهتمام بتطوير اساليب قتالهم وتنظيمهم ، مما كان له اثر كبير في نتائج المعارك العربية — الاسرائيلية التي شهدتها المنطقة من قيام اسرائيل حتى اليوم .

ويقع الكتاب في الخطأ نفسه عند حديثه عن دور كبار ضباط الجيش الاسرائيلي عشية حرب ١٩٦٧، اذ يفهم منه ان العسكريين كانوا وراء رجوع ديان الى وزارة الدفاع مع ان الواقع غير صحيح . فديان رجع يومها الى وزارة الدفاع بفضل ضغط شعبي اسرائيلي ساعد تردد حكومة اشكول كثيرا على خلقه ، وكان من قبيل رفع المعنويات فقط . ولم يكن كبار الضباط الاسرائيليين هم الذين طالبوا برجوع ديان ، ولم يكونوا اساسا بحاجة اليه ، بينما اعتمد ديان نفسه خطتهم العسكرية لمهاجمة